

## الجاحظ عالم اللغة التطبيقي

إن ظاهرة اكتساب اللغة (الأم والأجنبية/أو الثانية)، والنظريات التي تفسرها، من الموضوعات المهمة جداً، التي يهتم بها علم اللغة النفسي الحديث اهتماماً بالغاً في القرن العشرين وفيما يلي سوف أبين آراء الجاحظ في هذه الظاهرة، وتأثير ذلك في علماء اللغة المعاصرين.

إن اللغوين العرب القدماء تحدثوا عن ظاهرة اكتساب اللغة (الأم والثانية)، في موسوعاتهم العلمية القيمة، منذ اثنى عشر قرناً تقريباً ومن بين هؤلاء الذين تحدثوا عن هذه الظاهرة عند الأطفال الجاحظ حيث يقول: "والميم والباء أولٌ ما يتهيأ في أفواه الأطفال، كقولهم: ماما، وبابا؛ لأنهما خارجان من عمل اللسان، وإنما يظهران بالقاء الشفتين".

فهذا الحرفان هما أول ما ينطقهما الأطفال عند اكتسابهم أصوات اللغة، بالإضافة إلى ألف الذي ينطقونه لحظة ولادتهم؛ وأنهما أسهل الحروف عليهم، لكونهما لا يحتاجان إلى فعل اللسان الذي يكون - عادة - ثقلاً عليهم في النطق في مستهل اكتسابهم للغة.

وفي هذا الخصوص يقول جاس وسلينكر: "عندما يبلغ الطفل ستة أشهر من العمر تقريباً، يبدأ بالتحول إلى أصوات أكثر شبهاً باللغة والتي تسمى بالبأبة. تكون البأبة غالباً من تتابعات صامت فصائت مثل ببابا، دادادا، ولاحقاً بادا). ومن الطبيعي في هذه الحالات أن يحمل الآباء أو المربيات أصوات البأبة المبكرة هذه على أنها "كلمات". مثلاً كثيراً ما تفسّر الأصوات ماماما على أنها تعود إلى أم الطفل. وربما تأمل الأمهات ذلك، في حين أنها في الحقيقة ليست أكثر من أصوات دون معنى معين يرتبط بها. فالفارق بين البأبة والكلمات الحقيقة عادة فاصل دقيق".

ولقد عالج الجاحظ أيضاً ظاهرة اكتساب اللغة الثانية في وقت متاخر من العمر. وتدعي هذه الظاهرة - في اللغة المرحلية أو الوسيطى "Interlanguage" - باس- "التحجُّر Fossilization": وهو أن الكبير لا يستطيع أن يكتسب اللغة الثانية بشكل صحيح مهما حاول ذلك؛ يقول الجاحظ: "فاما حروف الكلام فإن حكمها إذا تمكنت في الألسنة خلاف هذا الحكم. إلا ترى أن السندي إذا جلب كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً، ولو أقام في عليا تميم، وفي سفل قيس، وبين عجز هوازن، خمسين عاماً. وكذلك النبطي الفح خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط، لأن النبطي الفح يجعل الرزاي سيناً، فإذا أراد أن يقول:

زَوْرَق. قَالَ: سَوْرَق. وَيَجْعَلُ الْعَيْنَ هَمْزَة، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ مُشْمَعِلٌ، قَالَ: مُشْمَئِلٌ. وَالنَّخَاسَ يَمْتَحِنُ لِسَانَ الْجَارِيَةِ إِذَا ظَنَّ أَنَّهَا رُومِيَّةٌ وَأَهْلُهَا يَزْعُمُونَ أَنَّهَا مُولَدَةٌ بِأَنْ تَقُولَ: نَاعِمَة، أَوْ تَقُولُ شَمْسَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مُتَوَالِيَّات".

وَبِيَنِ الْجَاحِظِ السَّبَبُ فِي عَدَمِ اكْتِسَابِهِ النَّطْقَ السَّلِيمَ لِلْغَةِ لِأَنَّهُ: "مَتَى تَرَكَ شَمَائِلَهُ عَلَى حَالِهَا، وَلِسَانَهُ عَلَى سُجِّيَّتِهِ، كَانَ مَقْصُورًا بِعِدَادِ الْمَنْشَأِ عَلَى الشَّكْلِ الَّذِي لَمْ يَزُلْ فِيهِ". فَالْجَاحِظُ يَبَيِّنُ لَنَا تَأْثِيرَ اللَّغَةِ الْأُمِّ فِي اكْتِسَابِ وَتَعْلِمِ اللَّغَةِ الْأَجْنبِيَّةِ أَوِ الْثَّانِيَّةِ فِي الْمَرَاحِلِ الْمُتَأْخِرَةِ مِنِ الْعُمُرِ عِنْدِ الْمُتَعَلِّمِينَ الْأَجَانِبِ.

وَيَقُولُ الْقَاسِمِيُّ مُؤْكِدًا هَذَا الْقَوْلُ: "أَثَبَتَتْ بِحُوثٍ تَرْبُوِيَّةٍ تَجْرِيبِيَّةٍ حَدِيثَةً أَنَّ تَعْلِيمَ الْلَّغَةِ الْأَجْنبِيَّةِ فِي سَنِّ مَبْكِرَةٍ يَؤْدِي إِلَى إِنْقَاهِهَا بِصُورَةٍ أَفْضَلُ، وَأَنَّ الْلَّغَةَ الْأَجْنبِيَّةَ لَا تَؤْثِرُ بِصُورَةٍ سَلَبِيَّةٍ عَلَى مَعْرِفَةِ صَغَارِ الْأَطْفَالِ لِلْغَتَّهُمُ الْقَوْمِيَّةِ، وَأَنَّهَا لَا تَعْرُقلُ تَكْوِينَ الْمَفَاهِيمِ وَالْمَدْرَكَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِدِيِ الْتَّلَامِيذِ الصَّغَارِ".

وَفِي دراسة حديثة تستخرج جاس وسلينكر "... أن قدرة المتعلمين الأكبر سناً على تعلم الأصوات بسرعة، خاصة الأصوات الفوققطعية؛ تضُمُّ أسرع كذلك. وقد دعمت هذه النتيجة بعده من الدراسات". وعلاوة على ذلك، تقول جاس وسلينكر أيضاً: "إن هناك إجماعاً عاماً على أن الأفراد الأكبر سناً لا يستطيعون منطقياً أن يأملوا في الوصول إلى لهجة طبيعية في اللغة الثانية... وتشير بعض الدراسات إلى أن متعلمي اللغات الثانية لا يستطيعون الوصول إلى سيطرة كاملة على التركيب... وتنقلان عن: (باتkowski Patkowski ١٩٨٠م) قوله: "... وجد أن المتعلمين الذين اكتسبوا الإنجليزية بعد سن البلوغ حصلوا على درجات أقل في الكفاية مما حصل عليه كل من المتكلمين الأصليين والمتكلمين غير الأصليين الذين بدؤوا تعلم اللغة الإنجليزية قبل البلوغ...".

### لغة الحيوانات وطرق تعلمها

يُرى العصيلي: أن تعلیم الحیوانات بدأ في القرن العشرين على يدي العالم الروسي بافلوف (١٩٣٦-١٨٤٩) الذي كان يقيس مقدار ما يسیل من لعاب الكلب عندما يقدم له الطعام.

إن هذا الموضوع لم يكن جيداً عند علماء العربية القدامى؛ فقد بُحثَّ عند العلماء العرب السابقين منذ ١٤٠٤ أربعة عشر قرناً من الزمان. ولقد تحدث الجاحظ عن لغة الحيوانات في كتبه القيمة. وفيما يلي بيان ذلك بالتفصيل.

لغة النحل:

قال تعالى: "وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنَّ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيوْتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الْثَّمَرَاتِ فَاسْأُكِي سُبْلَ رَبِّكَ ذُلْلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ لَّوْاْنَهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِأَيَّةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

يقول الجاحظ عن خلق النحلة: "... شَمُّهَا مَا لَا يُشَمُّ، وَرَؤْيَهَا مَا لَا يُرَى، وَحْسَنَ هَدَايَتِهَا، وَالْتَّدِبِيرُ فِي التَّأْمِيرِ عَلَيْهَا، وَطَاعَةُ سَادَاتِهَا، وَتَقْسِيْطُ أَجْنَاسِ الْأَعْمَالِ بَيْنَهَا، عَلَى أَقْدَارِ مَعْرِفَهَا وَقُوَّةِ إِبْدَانَهَا".

وعلماء اللغة المحدثون اهتموا بهذه اللغة فقد اهتم العالم الألماني فريش بدراسة حركات النحل ورقصه، والتي اعتبرها لغة النحل، حيث يتحرك في دوائر صغيرة متتالية بنظام معين، كما يرتفع إلى أعلى بصورة خاصة. ولقد استنتج: أن النحلة عند قيامها بهذه الحركات، إنما تنقل إلى باقي النحل في مملكة النحل، ما توصلت إليه من معرفة خارج الخلية كأن تعلم باقي أفراد المملكة من النحل بنوع الغذاء الذي عثرت عليه، وأين موقعه، ومدى بعده عن الخلية، وخط الوصول إليه".

### لغة الحيوانات الأليفة والمفترسة والطيور

يشرح الجاحظ هذه اللغة؛ عند الحيوانات الأليفة، والمفترسة، والطيور، وغيرها من الحيوانات، بقوله: "ويأمرن بتعليم أبناء الرعية الفلاحة والنجارة... نعم حتى علموا البلايل وأصناف الطير الألحان. وناساً يعلمون القرود والدببة والكلاب والظباء المكيّة والببغاء والسنقر (الصقر) وغراب البين، ويعلمون الإبل، والخيول، والبغال، والحمير، والفييلة: أصناف المشي، وأجناس الحضر. ويعلمون الشواهين والصقر والبوازي، والفهود، والكلاب، وعناق الأرض: الصيد. ويعلمون الدواب الطحن، والبخاتي (الإيل): الجمز (الوثب)، حتى يروضوا الهملاج، والمعنائق (السرريع)، بالتخلص وغير التخلص، وبال موضوع والأوسط والمرفوع. ووجدنا للأشياء كلها معلمين. وإنما قيل للإنسان العالم الصغير، سليل العالم الكبير، لأن في الإنسان من جميع طبائع الحيوان أشكالاً، من ختل الذئب (الخداع) وروغان الثعلب (المخادعة)، ووثوب الأسد، وقد البعير، وهدايةقطة" والعلماء العرب دربوا الحيوانات وروضوها وعلموها الكلام واللغة أيضاً.

من خلال ما تقدم ذكره يدل دلالة واضحة على أن للحيوانات لغة وتفكيراً وعلماء، وهي قابلة للتعلم. ويمكن للإنسان أن يتعرف عليها من خلال الممارسة والتدريب والخبرة. وأن العرب القدامى أبدعوا

في تعليم الحيوانات أيماء إبداع. وقد دربوا الطيور بأنواعها، والحيوانات الأليفة منها والمفترسة على الكلام واللغة وغيرها. كما يظن بعض العلماء في الوقت الحاضر من أمثال الوعر وغيره، من أنها وليدة القرن العشرين، قامت على أيدي العلماء الغربيين.

### لغة الإشارات والرموز

تعد لغة الإشارات والرموز من الموضوعات التي يعالجها علم اللغة النفسي الحديث في القرن العشرين. فالغربيون - ومن سار على نهجهم من العلماء العرب المعاصرین - أجروا التجارب على هذه اللغة وعروها ونسبوها إليهم. ولكننا نفتّح هذا القول؛ ونقول لهم: إن علماء اللغة العربية القدامى، درسوا هذه الظاهرة في مؤلفاتهم، وإن القرآن الكريم أول ما نبأنا بهذه اللغة؛ وتحدث عنها.

إن لغة الإشارة لها أنواع عديدة؛ منها: إشارة المعاقين، وإشارة الأصحاء، وإشارات المرور والطرق وغيرها، فهذه كلها لغات غير منقوقة. وعلاوة على ذلك، تقول عطية: إن الصورة لغة، والموسيقى لغة، والحركة لغة، والأشياء والأجسام لغة، والإشارات لغة. وما يهمنا هنا هو إشارة الأصحاء.

### إشارة الأصحاء

وتتقسم هذه الإشارة إلى قسمين: إشارة عضوية وإشارة أدبية، وقد تكون الإشارة العضوية للأصحاء بعقد اللسان ومنعه من الكلام مؤقتاً، وإن الشخص الذي تحصل له هذه العقلة والحبسة سليماً معافياً، ولكن الله يريد أن يظهر معجزاته فيه، وهذا مانجده في القرآن الكريم عندما أنبأنا الخبير اللطيف على لسان زكرياء عليه السلام ومريم بنت عمران الصديقة.

#### الإشارة الأدبية:

تؤدي الإشارة الأدبية معنىًّا بلغاً في النفس، لا يمكن البوح به أمام الملا، كي لا يتآذى الآخرون منها أو يتاثرون. ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى: "يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَغْرِيْنَ وَمَا تُخْفِي الصَّدُورُ". أي يعلم نظرات الأعين، وإشاراتها، واستراق النظر، وما تكنته الصدور وتخفيه من أمور ولواعج وأسرار وغيرها، لا يمكن الجهر بها لاعتبارات عديدة. وإن لغة الإشارة صفات نبيلة، ونتائج حميدة، لا يمكن للإنسان أن ينطق بها. ولهذا نجد لها خاصية أدبية رفيعة، في تأدية المعنى والتعبير عن المقصود، بشكل ودي وسري وبديع.

يناقش الجاحظ هذه القضية بشكل أدبي رفيع؛ حيث يقول: "وَجَمِيع أَصْنَافِ الدَّلَالَاتِ عَلَى الْمَعْانِي مِنْ لُفْظٍ وَغَيْرِ لُفْظٍ، خَمْسَةُ أَشْيَاءٍ لَا تَنْقُصُ وَلَا تَزِيدُ: أَوْلَاهَا الْلُفْظُ، ثُمَّ الْإِشَارَةُ، ثُمَّ الْعَقْدُ، ثُمَّ الْخَطُّ، ثُمَّ الْحَالُ الَّتِي تُسَمَّى نِصْبَةً". والذِّي يَهْمِنَا هُنَا هُوَ الْإِشَارَةُ فَقَطُّ.

"فَأَمَّا الإِشَارَةُ بِفَالِيدِ، وَبِالرَّأْسِ، وَبِالْعَيْنِ وَالْحَاجِبِ وَالْمَنْكِبِ، إِذَا تَبَاعَدَ الشَّخْصَانُ، وَبِالثَّوْبِ وَبِالسَّيفِ، وَقَدْ يَتَهَذَّدُ رَافِعُ السَّيفِ وَالسَّوْطِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ زَاجِرًا، وَمَانِعًا رَادِعًا، وَيَكُونُ وَعِيدًا وَتَحْذِيرًا. وَالْإِشَارَةُ وَالْلُفْظُ شَرِيكَانُ، وَنِعْمَ الْعُوْنَ هِيَ لَهُ، وَنِعْمَ التَّرْجِمَانُ هِيَ عَنْهُ. وَمَا أَكْثَرُ مَا تَتَوَبَّ عَنِ الْلُفْظِ، وَمَا تُغْنِي عَنِ الْخَطِّ. وَبَعْدُ فَهُلْ تَعْدُ الإِشَارَةُ أَنْ تَكُونُ ذَاتَ صُورَةٍ مَعْرُوفَةٍ، وَجُلْيَةٌ مَوْصُوفَةٌ، عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي طَبَقَاتِهَا وَدَلَالَاتِهَا. وَفِي الإِشَارَةِ بِالْطَّرْفِ وَالْحَاجِبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْجَوَارِحِ، مَرْفَقُ كَبِيرٍ، وَمَعْوِنَةٌ حَاضِرَةٌ، فِي أَمْرَ وَيَسْتَرُّهَا بَعْضُ النَّاسِ مِنْ بَعْضٍ، وَيَخْفُونَهَا مِنَ الْجَلِيسِ وَغَيْرِ الْجَلِيسِ. وَلَوْلَا الإِشَارَةُ لَمْ يَتَفَهَّمُ النَّاسُ مَعْنَى خَاصِ الْخَاصِ، وَلَجَهُلُوا هَذَا الْبَابُ الْبَتَّةُ. وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ فِي دَلَالَاتِ الإِشَارَةِ:

أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ حِيفَةً أَهْلَهَا إِشَارَةً مَدْعُورِ وَلَمْ تَكُلِّمْ  
فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَبِيبِ

المُتَّيَّمِ

وَقَالَ الْآخِرُ:

الْعَيْنُ تُبْدِيُ الْذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا مِنَ الْمُحِبَّةِ أَوْ بُغْضِ إِذَا كَانَ  
وَالْعَيْنُ تَنْطِقُ وَالْأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ  
الْقَلْبِ تَبِيَّنًا

هَذَا، وَمَبْلُغُ الإِشَارَةِ أَبْعَدُ مِنْ مَبْلُغِ الصَّوْتِ. فَهَذَا أَيْضًا بَابُ تَتَقْدِيمِ فِيهِ  
الْإِشَارَةِ الصَّوْتَ".

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ الْغَرَبِيِّينَ وَالْعَرَبِ الْمُعَاصِرِينَ الَّذِينَ تَنَاهُوا هَذِهِ  
الظَّاهِرَةِ فِي جُوْنِسْكِيِّ: الَّذِي تَحْدُثُ عَنِ لُغَةِ الإِشَارَاتِ عِنْدَ الصَّمِ  
الْبَكِمِ، وَالْحَمْدَانِيُّ الَّذِي تَحْدُثُ عَنِ لُغَةِ الإِشَارَاتِ؛ وَأَطْلَقَ عَلَيْهَا اسْمَ  
مَصَاحِبَاتِ اللُّغَةِ، وَتَضَمَّنَ هَذِهِ الْمَصَاحِبَاتِ: تَعْبِيرَاتُ الْوَجْهِ وَالْجَسْمِ  
وَحُرْكَاتُ الْيَدِيْنِ، إِضَافَةً لِلتَّعْبِيرَاتِ بِالْعَيْنِ، وَتَغْيِيرِ فِي الصَّوْتِ،  
وَتَنْشَأُ قَسْمٌ مِنْ هَذِهِ الْمَصَاحِبَاتِ نَتْيَةً لِلْفَطْرَةِ، بَيْنَمَا تَخْتَلِفُ إِشَارَاتُ  
أُخْرَى بِاخْتِلَافِ الْمَجَمِعِ.

وَنَخْلُصُ مِنْ هَذَا، إِلَى أَنَّ لُغَةَ الإِشَارَاتِ وَالرَّمْوزِ لَمْ تَكُنْ مَوْضِيًّا  
جَدِيدًا فِي الْدِرَاسَاتِ الْلُّغُويَّةِ النُّفْسِيَّةِ الْحَدِيثَةِ، فَقَدْ أَبْنَأَ اللَّهُ سَبَّاحَهُ  
وَتَعَالَى عَنْهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى لِسَانِ زَكْرِيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ،  
وَمُرِيمَ بْنَتِ عَمْرَانَ. وَأَنَّ هَذِهِ الْلُغَةُ تَعْبُرُ عَمَّا تَكُنْهُ الصَّدُورُ مِنْ  
لَوْاعِجٍ وَحَنَانٍ وَغَيْرِهِمَا؛ قَدْ لَا تَعْبُرُ عَنِهِ الْلُغَةُ الْمَنْطَوِقَةُ صَرَاحَةً  
وَأَنَّ مَا ذَكَرَهُ الْجَاحِظُ عَنِ لُغَةِ الإِشَارَاتِ: كَالْإِشَارَةِ بِالْيَدِ، وَبِالرَّأْسِ،

وبالعين (الطرف)، وبالحاجب، والمنكب، وبالثوب، وبالسيف، يكاد يكون هو ما قاله الحمداني عن مصاحبات اللغة كتعابيرات الوجه والجسم وحركات اليدين والعيون وغيرها.

### أمراض الكلام

لقد شرح الجاحظ أمراض الكلام وأسبابها وطرق علاجها. وإليكم بيان ذلك بالتفصيل.

#### الأمراض اللغوية

تناول الجاحظ الأمراض اللغوية بشكل مفصل ومرئي. ومن هذه الأمراض التي تحدث عنها مايلي:  
العي والحصر. "وقدِيمًا ما تَعَوَّذَا بِاللهِ مِنْ شَرِّهِمَا، وَتَضَرَّعُوا إِلَى اللهِ فِي السَّلَامَةِ مِنْهُمَا".  
قال بشار الأعمى:

وَعَيِّ الفَعَالِ كَعِيِّ الْمَقَالِ وَفِي الصَّمَتِ عَيِّ كَعِيِّ الْكَلْمِ"  
"وَلَأَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الْعَجَزَ وَالْعَيَّ مِنَ الْخَرَقِ، كَانَا فِي الْجَوَارِحِ أَمْ فِي الْأَلْسُنَةِ".

ويذكر الجاحظ بعض هذه الأمراض اللغوية حيث يقول: "وليس للجلاج والتتمام، والأثناء والفاء، ذو الحبسة والحكمة والرثة وذو اللف والجلة، في سبيل الحصر في خطبته، والعيني في مناضلة خصومه، كما أن سبيلا المفحى عند الشعرا، والبكيء عند الخطباء، خلاف سبيلا المسهب الثرثار، الخطط المكتثار".

وتحدث عن المصايبين بالأمراض الكلامية؛ فذكر منهم: العيني والبكيء، والحصر والمفحى، والخطط والمسبب، والمتشدّق، والمتفيهق، والمهماز، والثرثار، والمكتثار والهمماز، ولم ذكرروا الهجز والهز، والهذيان، والتخليط وقالوا: رجلٌ تلقائة، وفلان يتلهي في خطبته"... ثم اعلم أن أقبح الحن لحن أصحاب التغبير والتقييب، والتشديق والتمطيط والجهورة والتخييم".

ومن علماء اللغة المعاصرين الذين تحدثوا عن أمراض الكلام: المنصور، فقد تحدث عن عيوب الكلام وطرق علاجه بشكل مفصل عند العلماء العرب القدماء. ولكن الشيء الإيجابي الذي يذكر للعلماء المعاصرين أنهم استفادوا من تقدم الطب في معالجة بعض هذه الأمراض اللغوية عند الناس.

#### أسباب العيوب الكلامية

ذكر الجاحظ ثلاثة أسباب رئيسية للعيوب الكلامية، وهي كما يلي: لغوية نفسية، واجتماعية، وعضوية.

#### الأسباب اللغوية النفسية:

العي والحصر:

يذكر الجاحظ: أن من الأسباب اللغوية والنفسية لأمراض الكلام:

"العي والحصار وقد قال النمر بن تولب:

أعذني رب من حصار وعي ومن نفسي أعالجها علاجا  
وقال الهذلي:

ولا حصار بخطبته إذا ما عزت الخطب

وقال مكي بن سوادة:

حصار مسْهَبْ جريء جبان حير عي الرجال عي السكوت"

اللغة:

اللغة: مرض لغوي يصيب بعض الناس، عامتهم وخاصتهم؛ ولهذا نرى الجاحظ قد أشار إليها، حيث يقول: "ولما علم واصل بن عطاء أنه ألغ فاحش اللغة، وأن مخرج ذلك منه شنيع... أنه كان داعيةً مقالةً ورئيس نحلة قال قطرب: أنسدني ضرار بن عمرو قول الشاعر في واصل بن عطاء:

ويجعل البر قمحاً في تصرفه وجائب الراء حتى احتال  
للشعر

ولم يُطق مطراً والقول يُعجله فعاد بالغيث إشفاقاً من المطر  
قال: وسألت عثمان البري: كيف كان واصل يصنع في

العدد ... والشهور؟ فقال: ما لي فيه قول إلا ما قال صفوان:  
ملقّن ملهم فيما يحاوله جم خواطره جواب آفاق  
 وأنشدني ديسن قال: أنسدني أبو محمد الزيدي:

وخلة اللفظ في الياءات إن ذكرت كحلاً اللفظ في اللامات  
والألف

وخلة الراء فيها غير خافيةٌ فاعرف موقعها في القول  
والصحف

ولقد حدا الأمر ببعضهم إلى أن طلق أزواجه. منهم أبو رمادة لأنه  
خاف أن تجيئه بولد ألغ. قال:

ألغاء تأتي بحيف ألغ تميس في المؤشى والمصبغ  
الحيف: الولد الصغير الصغير".

### أسباب اجتماعية: الصمت

يذكر الجاحظ أن الصمت عيب من عيوب الكلام وكان يزيد بن جابر، قاضي الأزارقة بعد المُغْطِل، يقال له الصّمّوت؛ لأنّه لما طال صمّته ثقل عليه الكلام، فكان لسانه يلتوى، ولا يكاد يُيin، من طول التفكير ولزوم الصّمت".

### أسباب عضوية: سقوط الأسنان:

يذكر الجاحظ أن سقوط بعض الأسنان يؤدي إلى الخطأ، وأن سلامـةـ اللـفـظـ منـ سـلامـةـ الأسـنـانـ، قالـ الشـاعـرـ:

قَلَّتْ قوادُحُهَا وَتَمَّ عِيْدُهَا فَلَهُ بِذَاكَ مَزِيَّةٌ لَا تَنْكُرُ  
وَيَرُوِي "صَحَّتْ مَخَارِجُهَا وَتَمَّ حِروْفُهَا". المَزِيَّةُ: الْفَضْيَلَةُ. الْقَادِحُ:  
أَكَالَ يَقْعُ فِي الْأَسْنَانِ. وَالْإِنْسَانُ إِذَا تَمَّ أَسْنَاهُ فِي فَمِهِ، تَمَّ لَهُ  
الْحِروْفُ، وَإِذَا نَقْصَتْ نَقْصَتْ الْحِروْفُ.

### علاج العيوب النطقية:

يقدم الجاحظ بعض الإرشادات والنصائح التي تساعد في علاج هذه المشاكل النطقية؛ ومن بين هذه الإرشادات والنصائح ما يلي:

#### المحاولة والتدريب على نطق الحروف بشكل سليم

يقول الجاحظ: "رَامَ أَبُو حَذِيفَةَ إِسْقَاطَ الرَّاءَ مِنْ كَلَامِهِ، وَإِخْرَاجُهَا  
مِنْ حِرْوَفِ مِنْطِيقِهِ؛ فَلَمْ يَزُلْ يَكْبُدُ ذَلِكَ وَيَغَالِبُهُ، وَيَنْاضِلُهُ وَيَسْأَلُهُ،  
وَيَتَأَثَّرُ لِسَتْرِهِ وَالرَّاحَةِ مِنْ هُجُنِّهِ، حَتَّى إِنْتَظَمْ لَهُ مَا حَاوَلَ، وَاتَّسَقَ  
لَهُ مَا أَمْلَ... وَكَانَتْ لُغَةُ مُحَمَّدٍ بْنِ شَبَّابِ الْمُتَكَلِّمِ، بِالْغَيْنِ، فَإِذَا حَمَلَ  
عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمَ لِسانِهِ أَخْرَجَ الرَّاءَ عَلَى الصَّحَةِ فَتَأَثَّرَ لَهُ ذَلِكَ،  
وَكَانَ يَدْعُ ذَلِكَ اسْتِقْنَالًا. أَنَا سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُ".

فالمحاولة والمثابرة والمداومة على النطق السليم لهي خير دليل  
على العلاج الناجع.

ويقول الجاحظ في علاج اللُّغَةِ: "فَأَمَا التِّي عَلَى الْغَيْنِ فَهِيَ  
أَيْسَرُهُنَّ، وَيَقَالُ إِنْ صَاحِبَهَا لَوْ جَهَّذَ نَفْسَهُ جَهَّذَهُ، وَأَحَدُ لِسَانِهِ  
وَتَكَلَّفَ مُخْرَجُ الرَّاءِ عَلَى حَقِّهَا وَالْإِفْصَاحُ بِهَا، لَمْ يَكُنْ بَعِيدًا مِنْ أَنْ  
تَجْبِيهِ الطَّبِيعَةَ، وَيَؤْتَرُ فِيهَا ذَلِكَ النَّعْهَدُ أَثْرًا حَسَنًا... وَكَانَ إِذَا شَاءَ  
أَنْ يَقُولَ عَمْرُو، وَلِعَمْرِي، وَمَا أَشَبَهَ ذَلِكَ عَلَى الصَّحَةِ قَالَهُ، وَلَكِنَّهُ  
كَانَ يَسْتَقْلُ التَّكْلُفَ وَالتَّهِيُّؤَ ذَلِكَ، فَقَلَّتْ لَهُ: إِذَا لَمْ يَكُنْ الْمَانِعُ إِلَّا هَذَا  
الْعَذَرُ فَلَسْتُ أَشَكُ أَنَّكَ لَوْ احْتَمَلْتَ هَذَا التَّكْلُفَ وَالتَّتَبَعَ شَهْرًا وَاحِدًا  
أَنَّ لِسانَكَ كَانَ يَسْتَقِيمُ...".

### سقوط جميع الأسنان

يقول الجاحظ: "إِنْ سَقْوَطَ جَمِيعِ الْأَسْنَانِ أَصْلَحَ فِي الإِبَانَةِ عَنِ  
الْحِرْوَفِ مِنْهُ إِذَا سَقَطَ أَكْثَرُهَا، وَخَالَفَ أَحَدُ شَطَرِيهَا الشَّطَرِ  
الْآخَرِ".

وإن الجمع بين الطعام الحار والشراب البارد يؤذى الأسنان ويؤدي  
إلى سقوطها. يقول الجاحظ معمقاً على ذلك: "وَكَانَ سَفِيَانُ بْنُ  
الْأَبْرَدِ الْكَلَبِيُّ كَثِيرًا مَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْحَارِ وَالْقَارِ، فَتَسَاقَطَتْ أَسْنَانُهُ  
جُمَعُ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ خَطِيبًا بَيْنًا".

وقال أهل التجربة: "إِذَا كَانَ فِي الْلَّحْمِ الَّذِي فِيهِ مَغَارِزُ  
الْأَسْنَانِ تَشْمِيرٌ وَقِصَّرٌ سَمْكُ، ذَهَبَتِ الْحِرْوَفُ وَفَسَدَ الْبَيْانُ. وَإِذَا

وَجَدَ اللِّسَانُ مِنْ جَمِيعِ جَهَاتِهِ شَيْئاً يَقْرَعُهُ وَيَصْكُّهُ، وَلَمْ يَمْرُرْ فِي هَوَاءٍ وَاسِعِ الْمَجَالِ، وَكَانَ لِسَانُهُ يَمْلأُ جَوْبَةَ فِمِهِ، لَمْ يَضْرُّهُ سُقُوطُ أَسْنَانِهِ إِلَّا بِالْمَقْدَارِ الْمُغْتَفَرِ، وَالْجَزْءِ الْمُحْتَمَلِ".

يرشدنا الجاحظ إلى أهمية الدربة في الكلام والمران عليه؛ وأن يخرج الحروف على الصحة، وألا يستسلم للهوينا، ويخلد إلى الخطأ. ثم يقول: "واللسان إذا كثر تقلبيه رق ولان، وإذا أفالت تقلبيه، وأطلت إسكاته، جسا و غلظ".

فالجاحظ يؤكد على أن التكرار والتمرين والتدريب والحفظ لكلام العرب؛ يُعرّب اللسان ويزيده فصاحة، ويبعده عن الصمت والحن. وهذا ما تؤكده الدراسات اللغوية التطبيقية الحديثة؛ من أن المحاكاة والتمرين والتدريب على النطق السليم والصحيح، هي الأسلوب الأكثر نجاحاً في اكتساب اللغة بطلاقة.